المحاضرة الرّابعة :

الاستقراء و الاستنباط

الكفاءات المستهدفة :

-أن يتعرّف الطّالب على مفهوم الاستقراء في البحث اللّغوي.

- أن يحدّد الطّالب خطوات المنهج الاستقرائي وأنواعه في البحث اللّغوي.

- أن يتعرّف الطّالب على مفهوم الاستنباط وخطواته في البحث اللّغوي.

- أن يدرك الطّالب الحدود الفاصلة بين الاستقراء والاستنباط في البحث اللّغوي.

تمهيد :

بهدف الكشف عن اطّراد الظّواهر اللّغوية وانطوائها تحت قوانين ونتائج يمكن تعميمها يستلزم ذلك تطبيقا واعيا لمجموعة من الخطوات،والإجراءات هي في الوقت نفسه أساس للبحث في مختلف العلوم ، ووسيلة للاستنتاج العلمي الصّحيح ،وهذه الإجراءات تتجسّد صورها في الاستقراء والاستنباط.

أوّلا : الاستقراء "Induction"

الاستقراء في اللّغة مصدر من استقرى يستقري، ووزنه: استفعال ويرجع اشتقاقه في معاجمنا العربيّة إلى مادتين هما "قَرَوَ" و "قَرَيَ" الأولى جاءت بمعنى القصد والتّتبّع[1] إذ ورد في معجم الصّحاح «قَرَوتُ البلاد قَرْوًا ،وقَرَيتُها ،واقْتَرَيتُهَا واسْتَقْرَيتُهَا ،إذا تتبّعتها تخرج من أرض إلى أرض»[2] ،والثّانية بمعنى الجمع ،وفي ذلك قال ابن فارس« القاف والراء والحرف المعتلّ أصل صحيح يدلّ على جمع واجتماع ،من ذلك القرية، سمّيت قرية لاجتماع النّاس فيها، ويقولون:قريت الماء في المقراة :جمعته»[3].

والتّعريف الاصطلاحي للاستقراء لا يحيد عن المعنى اللّغوي المتمثّل في التتبّع والجمع والضمّ فقد جاء في المعجم الوسيط هو تتبّع الجزئيات للوصول إلى نتيجة كليّة[4] ، و يقابله في اللّغة الأجنبيّة كلمة"Induction"،والطّريقة الاستقرائيّة «هي طريق للوصول إلى الأحكام العامّة بوساطة الملاحظة والمشاهدة وبه نصل إلى القضايا الكليّة التي تسمّى في العلوم باسم القوانين العلميّة أو القوانين الطّبيعيّة»[5].

والحقيقة أنّ علماء العربيّة القدامى حينما قعّدوا النّحو ،وضبطوا أحكامه كانوا يستندون في ذلك على الاستقراء «وذلك عندما نظروا في النّصوص القرآنيّة والأحاديث النبويّة والشّواهد

---

[1] ينظر: **القاموس المحيط** ،مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ط 5، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي،مؤسسة الرسالة،2005م، مادة "قرأ"، ص 1324.

[2] **الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة**،الجوهري إسماعيل بن حمادة، مادة "ق. ر.و"ج6/ ص 2461.

[3] **معجم مقاييس اللّغة** ،أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام هارون،دار الفكر، 1979م،مادة "قرى"،ج5/ص78.

[4] **المعجم الوسيط**، إبراهيم مصطفى وآخرون، ، مادة" ق. ر. أ"،ج2/ص 722.

[5] **طرائق تدريس اللّغة العربيّة**، الدليمي، كامل محمود نجم،وطه علي حسين الدليمي، دار الكتب للطباعة والنشر ،بغداد 1999م، ص 68.

الشّعريّة والنّثريّة،وخرجوا من بحثهم الاستقرائي هذا بالقوانين النّحوية التي رصدوها بالملاحظة والمشاهدة والتّحليل والتّركيب والمقارنة،ثم أثبتوها في مؤلّفاتهم اللّغوية»[1]، وفي حقيقة الأمر أنّ الطّريقة التي اعتمدها النّحاة الأوائل في جمع المادّة من مصادرها للاستشهاد بها ،والنّظر فيها لاستخراج أوجه الاتّفاق والاختلاف فيها أطلقوا عليها مصطلح السّماع « وهو ما ثبت في كلامِ مَن يوثَقُ بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى، وهو القرآنُ، وكلام نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده، إلى زمن فسدت الألسنة بكثرة المولَّدين نظمًا ونثرًا عن مسلم أو كافر»[2]،وهذه الطّريقة التي اعتمدها النّحاة لجمع المادّة اللّغويّة التي يبنون عليها قواعدهم تقترب إلى مفهوم أو معنى الاستقراء ،وهذا ما أثبته الباحثون المعاصرون حيث أقرّوا بأنّ منهج الاستقراء هو المعتمد من قبل النّحاة القدامى في جمعهم للّغة ،والفرق بينهما يكمن في التّسمية،وعن ذلك يقول تمام حسّان :«كانت دراسة اللّغة تدور في مبدأ الأمر على تلقّي النّصوص من أفواه الرّواة ومشافهة الأعراب ،وفصحاء الحاضرة،فكان ثمّة مجال للاستقراء واستنباط القاعدة من تقصي سلوك المفردات والأمثلة»[3]، كما أنّ ابن هشام الأنصاري وهو يتحدّث عن أقسام الكلمة (اسم فعل،حرف) يقول:« الدّليل على انحصار أنواع الكلمة في هذه الثّلاثة :الاستقراء، فإنّ علماء هذا الفنّ تتبّعوا كلام العرب، فلم يجدوا إلا ثلاثة أنواع، ولو كان ثم نوع رابع لعثروا على شيء منه»[4] ، فالاستقراء إذن يهتمّ باستقراء الأجزاء ليستدلّ بها على حقائق تعمّ على الكلّ، باعتبار أنّ ما يسري على الجزء يسري على الكلّ،وجوهره–الاستقراء–«هو الانتقال من الجزئيّات إلى الكليّات أو من الخاصّ إلى العامّ»[5]. العامّ»[5].

1-1: خطوات المنهج الاستقرائي:

---

[1] **أثر استخدام طريقتي الاستقراء والقياس في تحصيل طالبات الصفّ الأوّل المتوسّط في مادة قواعد اللّغة العربيّة والاحتفاظ بها (دراسة مقارنة)**،عائشة إدريس عبد الحميد الكلاك، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية جامعة الموصل /كلية التربية الأساسية ، المجلد 7، العدد 02، ص 98.

[2] **الاقتراح في علم أصول النّحو**، السّيوطي، تحقيق محمد حسن، دار الكتب ،العلمية ، 1998م، ص .48

[3] **اللّغة بين المعياريّة و الوصفيّة**، تمام حسان، ط1، دار المعرفة ، الإسكندرية، 1989م، ص35.

[4] **شرح قطر النّدى و بلّ الصّدى**، ابن هشام الأنصاري"أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف"، ط11، تحقيق :محمد يحيى الدين عبد الحميد،القاهرة،1338هـ،ص12.

[5] **منهجيّة البحث العلمي وتقنيّاته في العلوم الاجتماعيّة**،مجموعة مؤلفين، ص 120.

يعتمدُ تطبيق الاستقراء على ثلاث خطواتٍ رئيسة، من أجل الوصول إلى القانون العلمي العام الذي يتيح الفرصة لكشوف جديدة وهي:

1- الملاحظة:

ويقصد بها توجيه الحواس إلى مراقبة واستقراء ظاهرة معيّنة أو مجموعة من الظّواهر الحسيّة ،أي تتبّع الظّاهرة واستقرائها بهدف الكشف عن صفاتها أو خصائصها بغية التّوصّل إلى كسب معرفة جديدة عنها[1] .

2- التجربة:

فتعني ملاحظة الظّاهرة بعد تعديلها تعديلا كثيرا أو قليلا عن طريق التّدخّل في بعض العوامل التي تحدث الظّاهرة ، ويكون السّبب من وراء ذلك هو الرّغبة في التّوصّل إلى الصّفات ، أو إلى بعض خصائص الظّاهرة التي لا يمكننا الوصول إليها بمجرّد الملاحظة ومن دون إجراء أي تعديل على ظروفها[2]، والتّجربة لها علاقة مباشرة مع الملاحظة ، فما هي إلا امتداد لها التي يتدخّل في أثنائها الباحث لتغيير مجرى الظّاهرة التي يقوم بدراستها.

3-الفروض:

عبارة عن تكهّن الباحث بعد انتهائه من ملاحظاته وتجاربه بتفسير مؤقت للظّاهرة التي يدرسها ليعرف عللها أو معلولاتها[3] ،والفرض يتأخّر نسبيّا إلى حين الانتهاء من جمع الجزئيّات ودراستها ومحاولة استخلاص خصائصها.

2-1:أنواع الاستقراء:

إذا كان استقراء الجزئيات هو الأساس في تكوينِ القواعدِ الكليّةِ ،فإنّ تلك الجزئيّاتِ المستقرأة تتفاوتُ قِلّةً وكْثرةً،وقد يتأتّى في بعضِها الاستيعاب وقد لا يتأتّى، ولذا أصبح مِن المسّلم أن يقسّم الاستقراء إلى قسمين وهما:

أ/الاستقراء التّام:هو ما يقوم على حصر جميع الجزئيّات للظّاهرة المدروسة ويقصد به«تتبّع جميع جزئيّات أمرٍ كلّي ليحكم بحكمها عليه»[4] فهو استقراء يقيني يقوم على ملاحظة جميع

---

[1] ينظر: **الاستقراء والمنهج العلمي** ، زيدان محمود فهمي ، دار المعارف الجامعية ،الاسكندرية،1988م، ص45.

[2] **المنطق ومناهج البحث العلمي في العلوم الرياضية والطبيعية**،عبدالمعطي علي،دارالجامعات المصرية 1977 ص382

[3] ينظر: **الاستقراء والمنهج العلمي** ، زيدان محمود فهمي ، ص47.

[4] **الاستقراء ومجالاته في العلوم الشّرعيّة**،محمد أيمن الزهر و حمزة حمزة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية المجلد 29،العدد الأول،2013م، ص 454.

مفردات الظّاهرة موضع البحث لإصدار الحكم الكلّي على مفردات الظّاهرة ،وقد ذكر علماء العربيّة عبارة :الاستقراء التّام؛ ومن ذلك ما ذكره صالح الأسمري عند حديثه عن دليل تقسيم الكلام من جهة تركيبه إلى أقسامه الثّلاثة: «حيث إنّ دليل ذلك أمران: أحدهما :الاستقراء التّام؛ حيث استقرأ أئمّة اللّغة، كأبي عمرو المازني والخليل سيبيويه، الكلام فوجدوه لا يخرج عن كونه :اسما، وفعلا، وحرفا جاء لمعنى؛ والاستقراء التّام حجّة باتّفاق؛ والثّاني:الدّليل العقلي؛ إذ العقل لا يقبل غير تلك القسمة»[1].

ب/الاستقراء النّاقص: هو ما يقوم على الاكتفاء ببعض جزئيّات الظّاهرة المدروسة ،ويقصد به «الاستدلال بثبوت الحكم في بعض الجزئيّات على ثبوته لأمر يشملها»[2]،ولا تكون نتائجه صحيحة إلّا إذا كانت الجزئيّات المختارة للدّراسة من القوّة بحيث تمثّل بشكل كاف للمسألة المدروسة وفي العادة تكون القوانين الاستقرائية لا سيما في الاستقراء النّاقص احتماليّة وترجيحيّة ، بمعنى أدقّ تكون نتائجها وقوانينها عرضة للتّغيير عكس الاستقراء التّام ،وقريب من هذا التّقسيم ما ذهب إليه الشّريف الجرجاني (ت816هـ) في قوله : الاستقراء هو الحكم على كلّي بوجوده في أكثر جزئيّاته؛ وإنّما قال في أكثر جزئيّاته لأنّ الحكم لو كان في جميع جزئيّاته لم يكن استقراء بل قياسا مقسّما،ويسمّى هذا استقراء لأنّ مقدّماته لا تحصل إلا بتتبّع الجزئيّات، كقولنا :كل حيوان يحرّك فكّه الأسفل عند المضغ لأنّ الإنسان والبهائم والسّباع كذلك، وهو استقراء ناقص لا يفيد اليقين، لجواز وجود جزئي لم يستقرأ، ويكون حكمه مخالفا لما استقرئ كالتّمساح فإنّه يحرّك فكّه الأعلى عند المضغ[3].

ثانيا: الاستنباط "Déduction"

في اللّغة الاستنباط مشتقّ من كلمة نبط ،وهي تفيد معنى الاستخراج و الاستظهار كما أشارت إلى ذلك معظم المعاجم على اختلافها، جاء في لسان العرب : نبطَ الماءُ ينْبُطُ وينْبِط نُبوطاً: نبع؛ وكل ما أُظهر، فقد أُنْبِط . واسْتَنْبَطه واستنبط منه علماً وخبراً ومالاً: استخرجه. والاسْتنْباطُ الاستخراج. واستنبَطَ الفَقِيهُ إذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمِه[4].

---

[1] **إيضاح المقدمة الآجروميّة** ، صالحُ بنُ مُحمَّدٍ بنِ حسنٍ الأسمريُّ اعتنى به متعب بن مسعود الجعيد ،دت ، ص24.

[2] **الاستقراء ومجالاته في العلوم الشّرعيّة**، محمد أيمن الزهروحمزة حمزة، ص 454.

[3] ينظر: **معجم التّعريفات**، الشريف الجرجاني" علي بن محمد بن علي"، ط1،تحقيق :إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي- بيروت- 1405هـ،باب الألف، ص 37.

[4] ينظر: **لسان العرب**، ابن منظور ،مادة" ن ب ط"، ص 410.

والمقابل الأجنبي لمصطلح الاستنباط هو كلمة "Déduction"،وهو في اصطلاح البحث العلمي:« يقوم بحصر الأدّلة والحقائق العامّة وتصنيفها وترتيبها ثمّ استنباط الحقيقة الجزئيّة المطلوبة منها .وهو أيضا ينطلق من فكرة عقليّة وفلسفيّة ،ويبحث فيما سيكون، ويصل إلى نتائج عقليّة وفلسفيّة، أي الانتقال من الكلّ إلى الجزء، وهذا بمعنى أنّ أساس الاستنباط هو وصف الحقيقة العامة.»[1] أي هو طريق لتفسير القواعد العامّة والكليّة التي ينتهي منها إلى استخلاص النّتائج التي يمكن تطبيقها على الحالات النّظيرة، كما يحتاج المنهج الاستنباطي إلى عنصرين وهما الحقيقة الجزئيّة النّاقصة التي تحتاج إلى إجابة أو حلّ والحقيقة العامّة أو المسلمة التي نستعين بها لاستكمال معلومات الحقيقة الناقصة أو المسألة الغامضة[2].

فالاستنباط هو نوع من الاستنتاج الذي يحصل لحالات خاصّة من خلال معرفة قانون عامّ، ولا يكون صحيحا إلّا إذا كانت القاعدة العامة أو المقدمة المنطقيّة صحيحة[3]، وعلماء العربيّة قد اتكئوا على الاستنباط في استخراج الحكم النّحوي ،ويعدّ القياس النّحوي مظهر لذلك ،ويعرّفه ابن جني بقوله :«أن تحكم للثّاني بما حكمت به للأوّل ، لاشتراكهما في العلّة التي اقتضتك ذلك في الأوّل »[4] ،وهو أساس العمل النّحوي وركيزته إذ يبدأ بملاحظة الظّواهر اللّغوية ثمّ تصنيف هذه الظّواهر واستقراء عناصر جزئيّاتها بالمقابلة والحوار والاستنطاق ،وينتهي بأن يحاول أن يستظهر القانون الجامع الذي يفسر لنا هذه الظواهر،ويستخلص الأحكام التي يجب إتباعها[5] ،ومن أمثلة ذلك إعراب الفعل المضارع قياسا على الاسم لمشابهته له ومضارعته إيّاه، أو كقولنا: نصبت "لا" النافية للجنس الاسم ورفعت الخبر قياسا على "إن" لمشابهتها إياها في التوكيد، فإن (لا) تأتي لتوكيد النّفي،كما تأتي (إن) لتوكيد الإثبات.

---

[1] **منهجيّة البحث العلمي وتقنيّاته في العلوم الاجتماعيّة**، مجموعة مؤلفين، ص 120.

[2] ينظر :**قواعد أساسيّة في البحث العلمي**،سعيد إسماعيل صيني، ط1 ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1994م، ص71.

[3] ينظر: **أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة** ، فوزي غرايبة وآخرون، الجامعة الأردنية ، الأردن ، 1977م، ص 28.

[4] **شرح اللّمع** ،ابن برهان العكبري،ط1، تحقيق فائز قار، الكويت، 1984م، ج1، ص 65.

[5] ينظر: **ضوابط الفكر النّحوي دراسة تحليليّة للأسس الكليّة التي بنى عليها النّحاة آراءهم** ، محمد عبد الفتاح الخطيب، ط1، دار الصائر للطباعة والنشر و التوزيع ،القاهرة، 2006م، ج1/421.

ثالثا: بين الاستقراء والاستنباط

ما يمكن التركيز عليه هو أن كلا من الاستنباط و الاستقراء هي مناهج قائمة بذاتها والدّليل على ذلك كون المنهج الاستنباطي كما أشرنا يحتاج إلى عنصرين أساسيين في تحليله :الحقيقة الجزئيّة النّاقصة أو الغامضة، والحقيقة العامّة المسلمة التي نستعين بها لاستكمال المعلومات حول تلك الحقيقة النّاقصة .بينما تختلف المناهج الاستقرائيّة عن نظيرتها في كونها تحتاج إلى عناصر أو حقائق جزئية متعدّدة متشابهة للاستعانة بها في التّعرف على حقيقة عامة .

والاستنباط سلوك عام يستخدم في مختلف العلوم وخاصّة الرياضيّة منها،وهو عبارة عن تسلسل منطقي متنقل من مبادئ أو قضايا أخرى تستخلص منها بالضّرورة، دون التجاء إلى التّجربة[1]، أي أنّه يعتمد على المبادئ المنطقيّة العقليّة، وهو بذلك مقابل للاستقراء الذي يقوم على الملاحظة والتّجربة؛ فإذا كان الاستقراء موضوعه الوقائع الخارجيّة، فإنّ الاستنباط موضوعه المخلوقات العقليّة[2]، فالاستنباط يبدأ بالقوانين ليستنبط منها الحقائق الجزئيّة بعكس الاستقراء الذي يبدأ بالجزئيّات ليتوصّل إلى القوانين والمسلّمات العلمية،ومع ذلك فهما متكاملان ،ومن مظاهر هذا التّكامل أنّ الاستقراء يهدف إلى التّحقق من الفروض وإثباتها عن طريق الاختبار والاستنباط يسهم في التّحقّق من صدق القوانين العامّة باختبارها في حالات جزئيّة لم تتناولها الملاحظة من قبل؛ ويمكننا القول إذا بأنّ هناك علاقة تبادليّة بينهما فبينما يحتاج الاستقراء إلى الاستنباط عندما يطبق على الجزئيّات للتّأكّد من الفروض، فإنّ الاستنباط يحتاج إلى الاستقراء من أجل التّوصّل إلى القواعد والقوانين الكليّة.

تقويم تحصيلي:

ظهرت ملامح الاستقراء العلمي الصّحيح في الأبحاث اللّغوية عند علماء العربية الأوائل قدّم مثالا عن ذلك .

الإجابة النموذجية:

ظهرت ملامح الاستقراء العلمي الصّحيح في الأبحاث اللّغوية عند علماء العربية الأوائل ومن ذلك ما فعله أبو الأسود الدولي (ت 69هـ) في نقط المصحف الشّريف إذ تذكر

[1] ينظر : **مناهج البحث العلمي**، عبد الرحمن بدوي، ص 82.

[2] ينظر : **المرجع نفسه** ، ص 127-128.

الرّوايات أنّه حاول شكل المصحف الشريف، فاستعان بكاتب من هذيل وقال له :خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتي فأنقط نقطة واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فاجعل نقطتيّن[1]؛ وعليه يتبيّن أنّ أبا الأسود الدؤلي قد اعتمد في نقطه للمصحف على الاستقراء القائم على الملاحظة العلميّة الواعية إذ أولى عناية كبيرة للصّوائت القصيرة، والتي اصطلح عليها قديما بالحركات، في تحديد المعنى ، بالإضافة إلى أنّه تفطّن إلى أن النّقطة الأولى قد تكرّرت في كلمات قد وقع عليها الفعل وأنّ النّقطة الثّانية تكرّرت في كلمات هي التي قامت بالفعل، وهكذا، ومن ثم استنتج من خلال هذا الاستقراء التّام ما يدلّ على الإعراب، وهي أنّ الفتحة تكون علامة للمفعول، وأن الضمة علامة للفاعل والكسرة علامة للمضاف، وهكذا تم وضع بعض الأصول العامة للعربيّة بعد وقت قصير من عملية نقط المصحف الشّريف.

[1] ينظر :**المحكم في نقط المصاحف**،أبو عم رو الداني" عثمان بن سعيد"، تحقيق :عزة حسن،ط4، دار الفكر،دمشق-سوريا، ص 06.